

الفصل الثامن

ماذا يريد العرب ؟

www.anwarsadat.org

على هامش البيان

كتبت مقالات هذا الفصل بمناسبة البيان الذى أصدره المؤتمر العربى المنعقد من الملك سعود ، وفخامة شكرى القوتلى ، والرئيس جمال عبد الناصر والملك حسين الذى عقد فى فبراير سنة 1957 ، وأعلنوا فيه التمسك بالوحدة العربية ، وحقوق العرب فى فلسطين ، وسيادتهم على أراضيهم ومياهم والتمسك بسياسة الحياد الإيجابى محافظة على مصالحها القومية ، ونبدأ بنشر هذا البيان :

نص البيان المشترك

عقد فى القاهرة فى الفترة ما بين 25 رجب عام 1376 الموافق 25 فبراير سنة 1957 و 27 من رجب سنة 1376 الموافق 27 فبراير سنة 1957 اجتماع بين جلالة الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية ، و جلالة الملك حسين الأول ملك المملكة الأردنية الهاشمية ، وفخامة الرئيس شكرى القوتلى رئيس الجمهورية السورية ، والسيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس جمهورية مصر ورجال حكوماتهم ، وهو الاجتماع الرابع من سلسلة الاجتماعات التى يعقدونها بين آونة وأخرى لدراسة الموقف الدولى والتباحث فى القضايا التى تمس الأمة العربية وتؤثر فى مجرى حياتها ونهوضها وتقديمها وحفظ كيانها .

جهود الملك سعود فى أمريكا

ولقد استعرض المجتمعون الجهود المشكورة التى بذلها صاحب الجلالة الملك سعود بن عبد العزيز خلال زيارته للولايات المتحدة الأمريكية وما أوضحه جلالتة للمسئولين فيها من وجهات النظر العربية حول مشاكل الشرق الأوسط ومتناوله البحث من أمور .

سيادة مصر على القناة وعواقب عدم الانسحاب

كما أوضح جلالتة للرئيس الأمريكى بصورة خاصة حقوق العرب وقضاياهم بما فى ذلك العدوان الأخير على مصر ونتائجه ، وحق مصر فى سيادتها على قناة السويس ، وخطورة ما ينتج عن تمرد إسرائيل على قرارات الأمم المتحدة التى تنص على الانسحاب بدون قيد أو شرط من قطاع غزة وخليج العقبة إلى ما وراء خطوط الهدنة ، وذلك دون تحقيق أى مكاسب لإسرائيل نتيجة للعدوان الثلاثى .

ويؤكد المجتمعون أن دولهم حريصة على أن تقوم بدورها فى المجتمع الدولى وأن تساهم بنصيبها فى إرساء العلاقات الدولية على أسس تنجو بها نحو السلام والعدالة والرخاء بما يكفل احترام سيادتها ومصالحها .

أن الدول العربية المجتمعة وقد ازدادت قوة بوعى شعوبها ، وازدادت أيماناً بسلامة أهدافها ورسوخ فكرتها لتؤكد ما سبق أن أعلنته من عزمها على تجنب الأمة العربية مضار الحرب الباردة والبعد عن منازعتها ، والتزام سياسة الحياد الإيجابى محافظة بذلك على مصالحها القومية ، وكذلك تؤكد أن الدفاع عن العالم العربى يجب أن ينبثق من داخل الأمة العربية على هدى أمنها الحقيقى وخارج نطاق الأحلاف الأجنبية .

ويرى المجتمعون أنه رغم قرارات الأمم المتحدة وأجماع الرأى العام العالمى بضرورة انسحاب إسرائيل إلى ما وراء خطوط الهدنة فأن العدوان الثلاثى ضد مصر لا زال

قائما بجميع آثاره ومظاهره طالما لم تنفذ إسرائيل قرارات الأمم المتحدة بالانسحاب دون قيد أو شرط .

6 قرارات

كما يرى المجتمعون أنه مما يهدد الأمن والسلام في منطقة الشرق الأوسط ما يعانيه أهالي قطاع غزة على يد إسرائيل من أشد ألوان التنكيل والتعذيب ، ولذلك قرر المجتمعون :

- 1 – العمل على انسحاب إسرائيل فورا إلى ما وراء خطوط الهدنة دون قيد أو شرط .
 - 2 – التمسك بحقوق عرب فلسطين كاملة وبسيادة العرب على أراضيهم ومياهم الإقليمية .
 - 3 – وجوب تعويض مصر من قبل الدول المعتدية عن جميع الأضرار والخسائر التي لحقت بها من جراء العدوان .
 - 4 – رفض جميع المحاولات التي تتجه للانتقاص من سيادة مصر وحقوقها في قناة السويس إذ أن قناة السويس جزء لا يتجزأ من مصر وسيادتها عليها كاملة ، وحرية الملاحة فيها مكفولة طبقا لأحكام اتفاقية القسطنطينية سنة 1888 .
 - 5 – استنكار العدوان البريطاني على أراضي اليمن والتضامن معها في صد هذا العدوان .
 - 6 – التأييد المطلق لحق عرب الجزائر في الحرية والاستقلال وتمجيد نضالهم الجبار ضد قوى الاستعمار .
- ويرى المجتمعون أن سياستهم التحررية المنبثقة عن أيمانهم بحق أمتهم في أن تحيا حرة مستقلة ، والمستندة إلى قوميتهم العربية التي برهنت للعالم أنها حقيقة قائمة ، لتزيدهم تضامنا فيما بينهم لبلوغ أهداف الأمة العربية في الحرية والوحدة والتقدم .
- لقد صيغت كل كلمة وكل جملة في بيان الكبار بحيث تعبر عن مشاعر وأحاسيس العرب في كل مكان وبحيث تعلن الدنيا كلها أين تقف القومية العربية المتحررة .

ففى عبارة رصينة واضحة يقرر البيان أن العرب يرحبون بكل يد تمتد لمصافحتهم ، فالعرب لا ينتصرون لمعسكر على معسكر ، وأنما يريد العرب الحرية والسيادة لأوطانهم والسلام والأمن للعالم أجمع .

وحين يتمسك الكبار بأسم شعوبهم بمبدأ الحياد الإيجابى فأنما هم يؤكدون رغبة شعوبهم وشعوب كثيرة من هذا العالم فى تجنب كل ألوان الحرب من باردة إلى ساخنة حتى تتوجه كل الجهود إلى بناء المجتمعات ورفع مستوى معيشة الفرد من أجل رخاء بنى الإنسان.

ومن الطبيعى أن لا يفرض على آى إنسان الطريقة التى يحمى بها بيته ، لذلك كان البيان موفقا أروع التوفيق حين قرر أن الدفاع عن العرب يجب أن ينبثق من داخل العرب لا أن يفرض عليهم من الخارج على صورة أحلاف أو موثيق فكل عربى يهمله أمر الدفاع عن بيته وأهله ودياره ، وتاريخ العرب فى هذا الشأن كله بطولة وشجاعة وتضحية وأباء ، لذلك فأن المنطق يحتم أن يكون أمر هذا الدفاع منبثقا من كيان صاحب المصلحة فى هذا الدفاع لا أن يفرض عليه فرضا من خارج أهله ودياره وأرضه .

لقد أحاط البيان بجميع المشاكل التى تواجه الأمة العربية وأظهر فيها للعالم الخارجى الخطأ والصواب ، وأظهر أكثر من ذلك أن القومية العربية أصبحت حقيقة لا يمكن تجاهلها وأنها ليست متعنتة ولا صاحبة ولا متجنية وأنما هى تسعى وراء الحقوق الشرعية المقدسة للعرب فى أوطانهم وديارهم من غير عدوان على أحد ولا مساس بحقوق أحد .

ولن يرفض العرب أبدا مصافحة اليد التى تمتد إليهم بالحق والعدالة والمساواة .

ولن يفرط العرب فى حقوقهم ما عاش عربى فى أطراف هذه الأرض .

وكما كان العدوان الثلاثى نقطة تحول فى تاريخ العالم كله فأن بيان أقطاب العرب نقطة تحول فى تاريخ الأمة العربية ومن خلال سطور هذا البيان نستطيع نحن العرب أن نقرأ قصة كفاح الأمة العربية ومراحل تطورها عبر السنين وهى القصة التى كتبناها ولا تزال نكتبها إلى يومنا هذا بدماء العرب وعزيمة العرب .

وقد أستهل أقطاب العرب البيان بشكر أخيهام الملك سعود على ما قام به من جهود خلال زيارته للولايات المتحدة وما أوضحه جلالته للمسؤولين فيها من وجهات النظر العربية .

أما ما تحسه الشعوب العربية نحو سعود فهو شئ أكثر من الشكر وأروع من الامتنان ، أنه الفخر بهذا العاهل العربي الذى حمل الأمانة عن العرب جميعا فأداها ، وناقش وناضل لا من أجل المملكة السعودية وإنما من أجل الأمة العربية جمعاء .

لقد سافر الملك سعود إلى الولايات المتحدة فى ظروف عصيبة مشحونة . فإنه بعد فشل العدوان ، كان لابد أن يعرف المسئولون فى الولايات المتحدة حقيقة وجهة النظر العربية التى شوهتها بريطانيا وفرنسا بمختلف الادعاءات والأباطيل ، وتشووها إسرائيل كل يوم عن طريق النشاط الصهيونى المريب .

وفى الولايات المتحدة أربعة معسكرات تعمل ضد العرب ، المعسكر الأول هو أولئك الذين يعطفون على إنجلترا والمعسكر الثانى هو أولئك الذين يتحيزون لفرنسا ، والمعسكر الثالث هو ذلك الذى ينتصر لإسرائيل .

أما المعسكر الرابع وهو الأهم فهو أولئك الأمريكيون الذين يعتقدون أن مجرد شراء مصر للأسلحة من الكتلة الشرقية معناه أن مصر قد أصبحت عدوة أمريكا ، وأن إصرار العرب على الحياد الإيجابى يضر بمصالح أمريكا .

لذلك جاءت زيارة الملك سعود حاسمة ، فالملك سعود لم يكن يتحدث بأسم السعودية وحدها وإنما كان يتحدث بأسم سورية وباسم الأردن وباسم مصر وباسم كل عربى يعرف العزة والكرامة .

وعاد إلينا سعود بعد أن أدى واجبه وأرضى ربه وضميره وأمته ، فقد قال كلمة الحق واضحة عالية فسدنا به نحن العرب ، وقد عرفناه دائما حريصا على العهد ثابتا على المبدأ ، أذا للعرب فى السراء والضراء .

فماذا يريد العرب ؟

وما هى حقيقة المعركة ؟

ماذا يريد العرب؟

وهل يخدم العرب فى مرحلة كفاحهم الحالية روسيا أو الشيوعية ؟
وهل فى التزام العرب لمبدأ الحياد الإيجابى ما يهدد أمن أمريكا أو غيرها من الدول ؟
أنى أذكر الأيام القليلة التى تلت إيقاف إطلاق النار فى 7 نوفمبر سنة 1956 ، وأذكر أن بريطانيا وفرنسا لكى تغطيا موقفهما أمام أمريكا لجأتا إلى الترويج لما أسموه وقتذاك المؤامرة الشيوعية الكبرى التى زعموا أن مصر كانت تعد لها مع روسيا لكى يدخل الشرق الأوسط كله تحت سيطرة الشيوعية بمساعدة مصر ، وذهب خيالهم إلى الحد الذى قالوا أنهم عثروا على مستندات تؤيد هذا الزعم ، ثم خرجت إسرائيل على العالم بحكاية استيلائها على ما قيمته خمسون مليوناً من الدولارات من الأسلحة والعتاد الروسى وردت بريطانيا على الفور هى وفرنسا بأن كميات هائلة من الأسلحة الروسية كانت مخزونة فى مصر وفى انتظار المتطوعين الروس لكى يستخدموها !

وإذكر أيضاً أن حديث هذه المؤامرة قد أنهار وتوقف فجأة بعد أن أعلنت مصر تحديها لمن يثبت هذه الخرافة الكبيرة ، وطلبها – أى مصر – من هيئة الأمم المتحدة أن تقوم على الفور بالتحقيق .

وإذكر أيضاً أن أيدن صاحب فكرة هذه الخرافة أمسك فجأة عن الخوض فى الحديث عنها بعد أن كان قد لمح لمجلس العموم البريطانى عنها ، بل أكثر من ذلك أنهار وخارت قواه وخرجت زوجته فى حفل قبل سفرهما إلى جمايكا لكى تنفى باسمه حديث تلك الخرافة عن المؤامرة الشيوعية .

نخرج من هذه الرواية بعدة حقائق .

الأولى هى أن بريطانيا وفرنسا وإسرائيل أرادوا فى محاولة يائسة بعد فشل مؤامرتهم أن يبرروا عملهم العدوانى ضد مصر أمام العالم وأمام أمريكا على وجه الخصوص بعد أن فشلوا فى عدوانهم وفى جعله أمراً واقعاً .

والثانية هي أن المتآمرين الثلاثة اختاروا في هذه المحاولة اليائسة أن يضربوا على الوتر الحساس عند أمريكا وهو الشيوعية لكي ينالوا تأييدها للجولة الثانية .

ثم بدأت بعد ذلك الحملة المضللة ضد سورية واتهامها بأنها تعد للهجوم على تركيا تارة وعلى العراق تارة أخرى بمساعدة روسيا ، وأن أسلحة روسية قد تكدست فيها إلى آخر ما يعرفه كل من عاش أحداث سنة 1956 ، وانتهت هذه الحملة بالفشل أيضا عندما صمدت مصر وكشفت سورية عن المؤامرة التي كان يراد بها تمزيقها وجعلوا من تلك الحملة تمهيدا لها .

وهدف بريطانيا وفرنسا وإسرائيل هو تضليل العالم عن حقيقة أهداف كفاح التحرر العربى فى مرحلته الحالية وأقناع أمريكا على وجه الخصوص أن العرب إنما يخدمون فى مرحلة كفاحهم الحالية روسيا والشيوعية !

أما بالنسبة للعالم فإن الخدعة لم تنطل على شعوبه ، وظهر استنكار العالم المرة تلو المرة فى القرارات التى اتخذتها الأمم المتحدة فيما يشبه الإجماع باستنكار العدوان ودمغ المعتدين بالتآمر والتنكر للخلق والمواثيق الدولية .

أما بالنسبة لأمريكا فأنها وأن سايرت الرأى العام العالمى وأيدت قرارات الأمم المتحدة فإن هذه السياسة على ما بدا ليست إلا سياسة أيزنهاور الشخصية وليست سياسة حكومته ولا الكونجرس ولا كثير من ذوى السلطة والنفوذ بأمريكا ، أولئك الذين وصفتهم من قبل بأنهم معسكرات تعطف على بريطانيا واخرى على فرنسا وثالثة على الصهيونية ، ورابعة تعتبر أن فى شراء مصر وسورية السلاح من الكتلة الشرقية وتمسك العرب بمبدأ الحياد الإيجابى ما يهدد أمن ومصالح أمريكا .

وقد يكون من الخير أن نعود فنشرح نحن العرب أهداف كفاحنا التحررى للعالم كله ، ولأمريكا على وجه الخصوص لكي نبرئ ذمتنا فى هذا الوقت الذى يجتاز فيه العالم مرحلة تطور خطيرة لا يجب أن نهمل فيها الحقائق أو نزور الوقائع .

ومحور كفاحنا العربى التحررى اليوم هو الحياد الإيجابى وهو ليس كلاما حماسيا نقوله ، أو نكرة سياسية نستخدمها للمناورة فى ميدان السياسة وإنما هو أيمان ينبع من

قلب كل عربى وحقيقة تاريخية يحتمها الكفاح العربى عبر السنين فلقد جربنا نحن العرب
سياسة الانحياز فخرجنا منها ممزقين مستعمرين وضاعت أرضنا وتشرد أهلنا وذبحت
أطفالنا

ولنعد إلى التاريخ

فقبل الحرب العالمية الأولى وفي أثنائها قامت الثورة العربية بقيادة الشريف حسين من أجل تحقيق أهداف التحرير العربى، وكانت هذه الثورة منحازة إلى بريطانيا، فما الذى حدث؟ حارب الشريف حسين إلى جانب بريطانيا ضد تركيا وألمانيا، وكانت أعمال البطولة التى قام بها المرحوم الملك فيصل بن الحسين هو وجيشه العربى هى العامل الحاسم فى الانتصارات التى كسبها الحلفاء بقيادة الننبى فى فلسطين وسورية ولبنان بتلك السرعة الخاطفة مما أخرج تركيا وهى حليف ألمانيا الرئيسى من الحرب، وترتب على ذلك انتصار الحلفاء فى الغرب كما فى الشرق

وكان جزاء العرب من بريطانيا وفرنسا ليس التجاهل فقط، وإنما بيعت فلسطين لليهود علنا بإصدار وعد بلفور سنة 1917 فى الوقت الذى كان مداد اتفاقاتهم مع الشريف حسين لم يجف، وأغارت فرنسا على سورية بعد النصر وفرضت عليها سيطرتها بالحد يد والنار بعد أن قتلت أبناءها فى ميسلون وضربة شق بالقنابل وقتلت وذبحت الأبرياء تحت اسم الانتداب

وانفردت بريطانيا بفلسطين وأخذت تمهد للصهيونية ولقيام إسرائيل بشنق أهلها من العرب وتجريدهم من السلاح ومن كل ما يدافعون به عن أنفسهم، وبسن القوانين التى تبيع لليهود كل شىء وتحرم العرب أصحاب الأرض والوطن من كل شىء .

وانفردت بريطانيا أيضا بمصر ففرضت عليها حمايتها ثم احتلالها، وبالعراق ففعلت معه المثل، ولا تزال إلى يومنا هذا تفرض سيطرتها عن طريق الأحلاف والعملاء فى العراق بعد أن طردت من مصر ثم هزمت فى معركة العدوان .

لم تقتصر مكافأة بريطانيا للغرب على انحيازهم لها فى الحرب على فلسطين ومصر والعراق فقط و.ا. ما امتدت إلى الخليج الفارسى وجنوب الجزيرة العربية واليمن على نحو ما كتبتة الصحف وقتذاك.

ونفس الحال ينطبق على فرنسا حليفة بريطانيا التي انحاز لها العرب فى الحرب الأولى، فهى التى هدمت دمشق، واستعمرت تونس ومراكش، ونزعت ملكية الجزائر فادعت انهما أرض فرنسية وان أهلها العرب المسلمين إنما هم من اللاتينيين الفرنسيين كان هذا ثمن الانحياز بعد الحرب الأولى .

أما فى الحرب الثانية وحوادثها لا تزال ماثلة فى أذهاننا، فان العرب لم يكونوا قد آمنوا بعد بالحديث الذى يقول: "لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين " فاتحازوا أيضا إلى جانب الحل نماء، وكان جزاؤهم فى هذه المرة أشد وأنكى من جزائهم بعد الحرب الأولى فانه ما ان انتهت هذه الحرب حتى هبت الشعوب تطالب بحريتها واستقلالها حسب مبادئ الأطلنطى المشهورة، بعد أن قامت بواجبها فى نصرة الحلفاء وسخرت أرضها وبلادها وأقواتها لخدمة قضيتهم.

وها هو ملخص ما جنيناه نحن العرب من سياسة الانحياز: قدمت العراق أرضها وموانئها ومطاراتها وأموالها لبريطانيا وحين قام الشعب العراقى يطالب، حقه فى الاستقلال بعد النصر كان جزاؤه أن قدمت إليه أولا معاهدة بورتسموث فلما ثار ورفضها. وضعت بريطانيا فى الحكم عميلها الأول، فصادر حريات الشعوب وأقفل الصحف وملا! السجون والمعتقلات بالأحرار والأبرياء وأمضى مع بريطانيا رغما عن إرادة الشعب حلفا أنكى وأبشع من معاهدة بورتسموث، والى يومنا هذا لا يزال شعب العراق يئن ويكافح .

وقدمت مصر أرضها وموانئها ومطاراتها لخدمة بريطانيا وقضية الحفاء، وأقرضت مصر، بريطانيا أربعمائة مليون جنيه استرليني اقتطعتها من أقواتها لكى تطعم جنود بريطانيا وجنود الحفاء، وضربت القاهرة والإسكندرية بقنابل الطليان والألمان وماتت المئات من المصريين لان قواعد بريطانيا كانت على أرضهم حول بيوتهم، ودافع الجيش المصرى عن قناة السويس وشهد له قواد، بريطانيا، وبيع قطن مصر بسعر التراب لبريطانيا لأنها كانت تريد ذلك، وأودع المصريون الأحرار السجون والمعتقلات كما كانت تشاء بريطانيا، وفرض على مصر حكم إرهابى طيلة فترة الحرب كإرادة بريطانيا .

وجاء النصر .

وذهب رئيسى وزراء مصر بعد انتصار الحلفاء سنة 1945

الى السفارة البريطانية فى القاهرة لى يسلم السفير البريطانى مطالب مصر فى جلاء قوات بريطانيا واستكمال سيادة مصر، فما كان من السفير البريطانى الا أن اعتبر أن هذه المطالب سفه من مصر وجنون ما بعده جنون، وقامت المظاهرات فى مصر تطالب بالجلاء سنة 1947 فتصدت لها جنود بريطانيا فى ميدان الإسماعيلية وأطلقت رصاص الإمبراطورية على شباب مصر فقتلته وفعلت نفس الشىء فى الإسكندرية، ثم وقف تشر شل يطالب مصر بعد كل الذى أدته لبريطانيا بثمان حماية بريطانيا لمصر!

وكانت خاتمة المطاف ذلك العدوان الغادر الذى دبرته بريطانيا على مصر وهى لم تزل مدينة لمصر بل إنها إمعانا منها فى حفظ الجميل لمصر جمدت ما لمصر عليها من دين أخذته وقت شدتها أقواتا وأموالا .

وفى سورية، ضربت دمشق للمرة الثانية بالقنابل بعد الحرب الثانية ودمرت دار البرلمان لان سورية قامت تطالب بحقها فى السيادة والاستقلال بعد أن حمت ظهر فرنسا فى الحرب الثانية .

وفى لبنان اعتقل رئيس جمهوريته ورئيس وزرائه بمعرفة السلطات الفرنسية علنا وعلى رؤوس الأشهاد وأودعا قلعة أراشيا لان لبنان كان يطالب فرنسا بالوفاء بالعهد والجلاء عن البلاد .

وفى المغرب، حارب الجنود المغاربة فى صفوف الحلفاء من أجل قضيتهم ضد المحور، ولا تزال موقعة كاسينو المشهورة فى إيطاليا تروى قصص البطولة الخالدة للجنود العرب من المغاربة، وما أن انتهت الحرب حتى كان جزاء مراكش البطش والتقتيل من قبل فرنسا إلى أن جاء اليوم الذى خلعت فيه فرنسا سلطان مراكش ونفته لانه تمسك بحقوق

شعبه فى الحرية والاستقلال، ولا تزال فرنسا إلى يومنا هذا تحتل مراكزها بجنودها حتى بعد أن أمضت معها معاهدة الاستقلال .

وكان جزاء تونس أن راحت الجمعيات السرية الفرنسية تشيع القتل والتخريب فى تونس لمجرد إنها قامت تطالب بالاستقلال، ولا تزال تونس تكافح إلى يومنا هذا بقاء الجيوش الفرنسية والموظفين الفرنسيين .

أما الجزائر، فان فرنسا قد كافأتها بمحاولة تأكيد نزع ملكيتها من جديد، وبتجنيد أسلحة وأساطيل حلف الأطلنطى لإبادة شعبها وتقتيل نساءها وأطفالها، لا لشىء إلا لأنهم يطالبون بحقهم فى الحياة الحرة الكريمة على أرضهم .

وفى اليمن اليوم قتال، وفى جنوب الجزيرة العربية قتال، وفى البحرين نضال، وعلى البوريمى اعتداء، وعلى أمانة عمان اعتداء، وبريطانيا التى وقفنا إلى جانبها فى الحرب الثانية هى المعتدية فى كل هذه الأماكن العربية التى تبعد عن بريطانيا آلاف الأميال .

وكانت أبشع جريمة ارتكبتها بريطانيا وحلفاؤها بعد الحرب الثانية فى حق العرب الذين وقفوا إلى جانب قضية الحلفاء هى مأساة فلسطين العربية .

إن هذه الجريمة سنظل وصمة فى جبين الإنسانية ووصمة لأولئك الذين تسببوا فيها لن تمحى من القلوب والأذهان .

شعب يطرد من أرضه ودياره وبيوته ويؤتى بعصابات من قطاع الطرق لتملك الأرض ، وتملك الديار وتسكن البيوت وأصحابها مشردون هائمون، ثم يعترف بتلك العصابات كدولة !

لقد صنعت بريطانيا هذه الجريمة منذ سنة 1917 وأتمها ترومان سنة 1948 باسم أمريكا حين اعترف بدولة قطاع الطرق. كان هذا هو ثمن انحيازنا نحن العرب فى الحربين

الماضيتين، من أجل ذلك كان حتما وضروريا أن يتجه الكفاح التحررى العربى إلى الحياد الإيجابى بعد أن قاسى العرب من سياسة الانحياز كل هذه الكوارث والأهوال .

ولن يعوق هذا الكفاح اليوم أو يعطله اتهام البعض له بأنه يخدم روسيا أو يخدم الشيوعية، فلطالما اتهم الكفاح العربى فى الماضى بأنه يعمل لصالح قوة أجنبية ولكن ذلك الاتهام لم يكن ليعيش أو يعيق زحف القومية العربية، ففى جميع مراحل كفاح الأمة العربية، كان أعداء العرب أو الذين لا يفهمونهم يحاولون اتهام كفاحهم بأنه فى صالح جبهة أجنبية فقبل الحرب العالمية وأثناءها، أشيع أن الحركة الوطنية العربية تخدم مصالح المحور النازى الفاشستى .

واليوم تزعم بعض الجهات إن الحركات الاستقلالية العربية إنما تخدم مصالح روسيا وأنها لذلك تلقى منها التشجيع والتحريض!

وقد أثبت التاريخ أن الكفاح العربى فى جميع مراحلها إنما كان دائما من أجل العرب، والعرب وحدهم .

فبمجرد انتهاء الحرب الأولى أصبح الكفاح العربى موجها ضد بريطانيا بعد أن استيقظ العرب على حقيقة مريرة مؤلمة هى أن بريطانيا كانت تستغل ثروتهم لصالحها وبدلا من أن تعترف باستقلال البلاد العربية التى انسلخت عن الإمبراطورية العثمانية بادرت بفرضت سيطرتها عليها .

ولو انتصرت دول المحور فى الحرب الثانية وحاولت فرض سيطرتها على البلاد العربية لقاومتها هذه البلاد كما قاومت بريطانيا وفرنسا من أجل الحرية والاستقلال .

كيف يفهمون الحياد؟

نخلص من ذلك إلى أن اتهام الكفاح العربى اليوم بأنه فى خدمة روسيا أو الشيوعية إنما هو سخف يريد به أعداء العرب تشويه نضالهم، وأبسط دليل على ذلك أن الشيوعية محرمة فى معظم البلاد العربية فى الوقت الذى تقوم فيه فى فرنسا وفى بريطانيا وفى أمريكا أحزاب شيوعية رسمية .

إلا أن هناك حقيقة أخرى يجب ألا نغفلها، وهى فهم روسيا للحياد الإيجابى وفهم الغرب للحياد الإيجابى .

فعندما نشأت فكرة الحياد، خشى الاتحاد السوفيتى أن تكون هذه الفكرة معادية له، وأخذ فى مهاجمة الداعين لها، وحين اتضح له إن الحياد يعنى عدم الانحياز إلى كتلة دون أخرى وأن هدفه هو السلام، بادر فغير موقفه من المحايدىن وأصبح يحترم سياستهم، وأبلغ مثل على ذلك علاقة الاتحاد السوفيتى بالهند وعلاقته بمصر .

فليست الهند ولا مصر بلادا شيوعية، ومع ذلك تقوم بين البلدين وبين الاتحاد السوفيتى علاقات أساسها الاحترام المتبادل على قدم المساواة ، وعدم التدخل فى شئون الغير وحرية كل بلد فى اختيار النظم التى يختارها، فلم يحدث مثلا أن وضع الاتحاد السوفيتى شروطا لشراء قطننا. ولم يطلب منا الاتحاد السوفيتى إقامة قواعد فى أرضنا. ولا الدخول فى أحلاف ضد أحد ولا فرض علينا بعثة عسكرية ولا حاول من قريب أو بعيد أن يتدخل فى شئوننا.

أما فهم الغرب لفكرة الحياد الإيجابى فما زال بعيدا كل البعد عن الواقع والصواب .
ففى بريطانيا وفرنسا مثلا يعنى الحياد الإيجابى ضياع سيطرتهم الاستعمارية على دول كانت بالأمس نهبا لهم يتصرفون فى أرزاقها ومقدرتها .

وفى أمريكا لا تزال الكثرة تعتقد ان الحياد الإيجابي ليس الا شعار للشيوعية وهم
للأسف لا يزالون يقولون بمبدأ: من ليس معنا فهو علينا .

وهذا خطأ فاحش يقع فيه الغرب اليوم لا بالنسبة للعرب وحدهم وانما بالنسبة لشعوب
كثيرة فى مختلف أنحاء العالم ان الحياد الإيجابي بغض النظر عن كل اتهامات أصبح
ضرورة حتمية يقتضيها التطور فى هذه المرحلة من مراحل كفاح الأمة العربية ومفهومنا له
نابع من صميم تاريخنا المرير فى الكفاح ومقاومة السيطرة الأجنبية.
فالواقع يحتم علينا ألا نحايز لكتلة دون أخرى بعد أن عرفنا على يد بريطانيا وفرنسا
كيف يكون جزاء الاتحياز.

ونحن لا نريد تدخل فى شئوننا ولا سيطرة أجنبية تفرض علينا
ونحن نريد أن نتبادل المنفعة مع الجميع على قدم المساواة ونحن نصر على أن
نصادق من يصادقنا وأن نعادي من يعادينا .

فنحن نرفض أن نكون ذبيلا لآحد أو تابعا لآحد أو منطقة نفوذ لآحد .

هذا هو منطق كفاحنا العربى اليوم. فكيف يمكن أن نحققه ؟

انه لا سبيل إلى ذلك إلا الحياد الايجابى0 فهو وحده الذى نستطيع أن نحقق من خلاله هذه المثل، وسيصبح أمرا يدعو إلى السخرية أن يدعى البعض أننا ننصر كتلة على كتلة أو فريقا على فريق فى الوقت الذى يحتم علينا فيه كفاحنا أن نقف فى الوسط لكى نعيش .

والحياد الإيجابى ليس سلبية كما يتوهم البعض، فهناك فرق بين الحياد السلبي والحياد الإيجابى .

فالسلبية لآبد أن تخدم اتجاهها من اتجاهات القوى العالمية، أما الإيجابية فأنها تتسم بأنها كفاح وثبات عند وجهة نظر محددة .

فالحياد الإيجابى والحالة هذه ليس الوقوف بعيدا عن العالم وما يجرى فيه كما يوحى معنى الحياد السلبي وانما هو مسئوليه والتزام ذو شقين، الشق الأول وطنى والشق الثانى عالمى .

أما الشق الوطنى فهو يعنى صيانة القومية، وتنميتها والدفاع عن حرية الوطن، وتخليصه من كل سيطرة أجنبية .

أما الشق العالمى فهو يعنى العمل مع المجموعة البشرية من أجل القيم ومن أجل الأمن والسلام حتى يمكن توفير حياة كريمة لجيلنا وما سيأتى بعده من أجيال .

والآن وقد انسحبت إسرائيل، في ضجة وصخب، وبعد طولى عناد، يجب أن نضع
أمامنا هذه الأسئلة :

- فيم كان تلو إسرائيل في الانسحاب؟ فيم كان تحديها لقرارات الأمم المتحدة؟ فيم
كان تمردا على إرادة الرأي العالمي؟ هل كانت تستمد العناد والتحدى، والتمرد، من ذاتها
؟

كيف يمكن أن تكون لها هذه القوة التي لا تبالى أم الشرق ولا أم الغرب، ولا الأمم
كلها متحدة ؟

ان إسرائيل أدكى من أن تقف وحدها، وأضعف من أن تتحدى أية قوة متجمعة، أو
متفرقة، فلماذا اندفعت في هذا التيار الخطير الذي عرضها للسخط، والنقمة وأسأل دموع
رجلها المسئول، فأعلن قرار الانسحاب وهو يبكى ؟

ان إسرائيل كانت مدفوعة إلى هذا التيار بقوة الاستعمار، كان مطلوب منها أن تصبر
حتى يرى المستعمرون ماذا سيكون من شأن العرب؟ هل ستتفرق كلمتهم؟ وفي هذا الجو
لمعت بروق ساطعة اللعان، بروق تحمل الأغراء، وبروق تحمل التهديد .

وفي هذا الجو العاصف اجتمع أقطاب العرب، فلم يأخذ البريق أبصارهم، ومضوا في
طريقهم الشائك الوعر، الطريق المؤدى إلى حرية العرب، والتمسك بحقوق الشعوب، وتأمين
السلام العالمي .

وكان هذا امتحانا للقومية العربية، وكانت نتيجة الامتحان انتصارا عميقا لها، وكان
تعجيلا بانسحاب إسرائيل .

أن القرارات التاريخية التي أصدرها أقطاب العرب، قد عبرت عن أرائهم في إصرارهم
على أن يعيشوا أحرارا، لا يعادون أحدا، ولا يتبعون أحدا، ولا يسمحون بالعدوان عليهم من

أحد، لن يكونوا ذيولاً، ولا أتباعاً، ولا يرضون أن يكونوا مخلباً لأى قط، ولا نجماً يدور فى
أى فلك .

لقد سلك الرب هذا الطريق الشاق المرير من أجل حريرتهم وحقهم وكيانهم، من أجل أن
يعيشوا فى سلام ويعيش معهم العالم فى سلام، من أجل أن تحيا بلادهم فلا تصبح وقوداً لنار
الحرب، ولا ميداناً للقتال الذرية والهيدروجينية .

من أجلنا نحن . من أجل تراثنا وحضرتنا وقوميتنا . من أجل مبادئنا، من أجل أبنائنا،
من أجل ابتسامة أطفالنا قررنا الحياد الإيجابى والوحدة العربية، والدفاع عن أنفسنا بأنفسنا،
خارج نطاق الأحلاف .

